عرض لكتاب سياسة روما الشرقيه

رجب عبد الحميد الأثرم

عرض لكتاب سياسة روما الشرقية

Anatolike Politik Des Romes

رجب عبد الحميد الأثرم

للدكتور ساريكاكي استاذ التاريخ الروماني بجامعة سالونيكي الذي صدر بسالونيكي سنة ١٩٧٥

Theodoros X. Sarikake, Kathegetou Panepistemiou, Thessalonikes.

جامعة قار يونس .

يتحدث هذا الكتاب عن كيفية ضم روما لكل من قورينائية Hékyrenaiké وكريت ومصر وما بين النهرين إلى حظيرتها وسياستها تجاه هذه المناطق .

ويهمنا أن نبرز في عرضنا لهذا الكتاب كل ما يتعلق بإقليم قورينائية الذي خصص له الكاتب القسم الأول من كتابه .

يبدأ المؤلف دراسته بوصف موقع الاقليم موضحاً أنـــه بالرغم من وجود قورينائية في شمال شواطىء افريقيا فانها كثيراً مـــا كانت منعزلة عن باقي بلادها إذ تحيط بها الصحراء من ثلاث جهات فمن ناحية الشرق هضبة مرماريكا والصحراء الليبية التي تمتد حتى دلتا النيل ، ومن ناحية الغرب تحف بها صحراء تمتد إلى البحر وشواطىء سُرت Syrteis ومن ناحية الجنوب لا تترك الصحراء سوى مساحة لا تتجاوز الخمسين كيلو متراً محصورة بينها وبين الشاطىء .

وبعد ذلك يدرس الدكتور ساريكاكي الاقليم من حيث المناخ والنبات ويوضح ان اقليم قورينائية ينتمي إلى مناخ البحر المتوسط من حيث المناخ والنبات ولا تختلف محاصيله مثلاً عن محاصيل جزيرة كريت وخاصة في الزيتون والكروم ولكن الاقليم يتميز بنبات السلفيوم الذي لم يستطع علماء النبات إلى يومنا هذا الوصول إلى أسراره والـذي كان يستعمل كدواء وعطر وبهارات وكان مصدر ثراء الاقليم وشهرته .

وكان من الطبيعي منذ العصور الباكرة أن تدور قورينائية في فلك الحضارة اليونانية وفي القرن السادس ق. م كان المستعمرون من جزيرة ثيرا ومن البلوبونيسوس بعد أن استقروا في قورينائية وأنشأوا قورينى وبقية مدن الاقليم قد انشأوا حضارة لا تزال تلمح آثارها حتى اليوم ، وقد استطاعت تلك المدن أن تحافظ على استقلالها على الرغم من أنه كان يحيط بها جيران أقوياء ، المصريون من الشرق والقرطاجنيون من الغرب حتى ظهور قمبيز سنة ٥٢٥ ق. م الذي احتل مصر وجعلها تابعة للامبراطورية الفارسية حيث احتل قورينائية وجعلها تابعة لمصر .

وعندما احتل الاسكندر الأكبر مصر بادرت مدن قورينائية بالاعتراف له بالولاء ، ولكن بعد موت الاسكندر حدثت في قورينى بعض الاضطرابات السياسية التي مهدت لبطلميوس وكان لا يزال بعد والياً على مصر من قبل أسرة الاسكندر احتلالها بل واحتلال كل الاقليم بعد أن أرسل قوات ضخمة بقيادة اوفيلاس سنة ٣٢١ ق. م . ثم جعله حاكماً عاماً على الاقليم وبذلك أصبحت قورينائية جزءاً من امبراطورية البطالمة .

وخلال السنوات التالية كانت قورينائية تابعة لمصر أو كان يحكمهـا بعض الحكام الذين يرسلون من قبل البطالمة . وقد استغل اوفيلاس محاولة المدن القورينائية الاستقلال عن حكم البطالمة بين سنوات ٣١٢ – ٣٠٩ ق. م . ونجح في الاستقلال بالمنطقة عن مليكه في سنة ٣٠٨ ق. م. ولكن ما لبث أن

استعاد بطلميوس الأول سيطرته على الاقليم سنة ٣٠١ ق. م حيث أرسل ابن زوجته ماجاس Majas حاكماً عليه الذي استقل بدوره بالاقليم حوالي عام ٢٧٤ ق. م أثناء حكم بطلميوس الثاني فيلادلفوس وجد ماجاس أنه من العبث الاستمرار في محاولة الانفصال عن الحكم البطلمي لذلك عمل على ربط اسرته بالأسرة الحاكمة في مصر بأن رتب زواج ابنته بيرينيكي Berenike من ولي عهد مصر وتم الزواج بعد احداث خطيرة في عام ٢٤٥ ق. م وبعد أن أصبح ولي العهد ملكاً باسم بطلميوس الثالث .

وفي هذه الفترة حدث إصلاح دستوري عام من قبل المشرعين اكديموس وديموفانوس وتغيرت أسماء بعض المدن والموانىء فأطلق على ميناء قورينى اسم أبوللونيا Apollonia وانفصلت عن قورينى وأصبحت تكوّن مع قورينى وبرقة وتوخيرة ويوسبريدس ما يعرف بالمدن الخمس Pentapolis .

وتكون في أبوللونيا تنظيم يتبع المدن القورينائية الأخرى من قبل العلماء والفلاسفة الذين يريدون لهذه المدينة أن تأخذ مركز الحضارة والاشعاع .

وفي عهد بطلميوس الثالث غير أسماء المدن حتى انه جعل أصل اسم برينيكي كل يوسبريدس نسبة إلى زوجته وأخذت مدينة توخيره اسم ارسينوى وبرقة او ميناؤها أطلق عليه بطوليمايس ، وبعد هذه التسميات فإن المدن الخمس أصبحت تتكون من المدن الآتية : ابوللونيا ، قورينى ، بتوليمايس ، ارسنيوى وبرينيكي .

وخلال السنوات ٢٠٣ – ٢٠٢ ق. م احتلت البلاد من قبل فيليب الخامس بموجب اتفاقية سرية مع انطيوخوس الثالث ملك سوريا إلا أنه لم يتمكن من الاحتفاظ بها لانشغاله بالحرب المقدونية الثانية ، وهكذا ظلت قورينائية تابعة لبطليموس الرابع ابيفانوس الذي ارسل شخصاً يدعى فيلامونا لحكمها نيابة عنه .

وفي سنة ١٦٣ ق. م وبعد تنازع بطلميوس السادس وأخيه الصغير تدخل

مجلس الشيوخ الروماني تحت ستار التوفيق بين الأخوين وعقد اتفاقاً بينهما في نفس السنة تقرر بمقتضاه تقسيم المملكة بين الأخوين بحيث تكون مصر وقبرص من نصيب بطلميوس السادس وقورينائية من نصيب بطلميوس الصغير ولكن هذا الأخير كان يريد ضم قبرص إلى قورينائية فذهب سنة ١٦٢ ق. م إلى روما ونجح في تحقيق هدفه حيث وافق مجلس الشيوخ على طلبه في أن يعطيه الجزيرة إلا أنه قام بعمل غير شريف تجاه البلد الذي يحكمه . ففي سنة ١٥٥ ق.م وبعد محاولة القتل التي تعرض لها كتب وصيته المشهورة التي أوصى فيها لروما بضم قورينائية بعد وفاته وملخص الوصية موجـــود بمتحف قورينى ، وتعتبر هذه الوصيـــة الأولى من نوعهـــا حيث يوصي ملك يوناني ببلاده لدولة أخرى وكانت بادرة غير وطنيـــة اتبعها بعده اتالوس الثالث ملك برجامـــة سنة ١٣٣ ق. م ثم بطليموس ابيون ملك قورينائية سنة ٩٦ ق. م وبطليموس الثامن الكسندر الأول سنة ٨٨ ق. م ونيكوميدس الرابع حاكم بيثونيا سنة ٧٤ ق. م .

وبعد موت بطلميوس السادس سنة ١٤٥ ق. م وجه شعب الاسكندرية الدعوة لاخيه بطلميوس الصغير فيسكون إلى الذهاب إلى مصر حيث تم تتويجه ملكاً في ممفيس على الطريقة الفرعونية بمساعدة روما وتبع ذلك إقامة حفلات في الاسكندرية بمناسبة ولادة ابنه من كليوبترا الثانية الذي ولد خلال تنصيب أبيه على العرش في ممفيس ولكن فرحة الاحتفالات سودتها المذبحة التي دبرت للقورينائيين في الاسكندرية الذين أظهروا عدم رضاهم على الوضع .

وبعد ارتقاء فيسكون العرش رجعت قورينائية إلى حكم البطالمة مرة أخرى وظلت على هذا الوضع حتى سنة ١١٦ ق. م حيث مات فيسكون ونتيجة لعدم حرصه على وحدة بلاده جعل مصر تحت حكم زوجته الثانية كليوبترا الثالثة وقورينائية تحت حكم ابنه غير الشرعي بطلميوس ابيون الذي استقل بها وخضعت قورينائية لحكم الرومان تبعاً لوصيته بعد وفاته في عام ٩٦ ق. م .

ويشير الدكتور ساريكاكي أنه لا يعرف شروط الوصية ولكن من الظاهر أنها كانت تشبه وصية أتالوس الثالث ملك برجامو وهي أن تحتفظ المدن وريفها بالحكم المحلي وأن ترجع الأراضي الملكية إلى روما .

وقد وافقت روما على هذه الشروط ولكنها حددت مدة معينة لاحتفاظ المدن بحكمها المحلي ، ولكن نظراً لاستيلاء الأهالي على الأراضي الملكية قررت روما بعد ٢٢ سنة حكم البلاد مباشرة في سنة ٧٤ ق. م حيث حاول الحاكم الروماني لوكولوس الذي عين لحكم البلاد إرجاع النظام والأمن للبلاد وبهذا أصبحت روما جارة قوية ومزعجة للاسكندرية التي لا تبعد عنها الا بمسافة لا تزيد على ٨٠٠ كيلو متر .

ونظراً لصغر حجم هذه المستعمرة الرومانية الجديدة ضمت إلى جزيرة كريت لتكونا ولاية رومانية واحدة تسمى كريت قورينائية Creta et Cyrenaica حيث لا تبعد عن كريت إلا مسافة ٣٠٠ كيلو متر فقط .

وفي شهر يونية عام ٤٤ ق.م سلمت قورينائية لكاسيوس وكريت لبروتوس اللذين رفضا الذهاب إليهما واصرا على الذهاب إلى مقدونيا وسوريا ولعل السبب في عدم قبولهما هذين الاقليمين هو سوء الأحوال الاقتصادية فيهما .

وفي سنة ٣٤ ق.م اتحدت قورينائية مع مصر حيث منحها انطونيوس إلى ابنته كليوبترا القمر Kleopatra Selene التي أصبحت ملكة عليها، ولكن انتصار اغسطس في معركة اكتيوم عام ٣١ ق. م أرجع قورينائية ثانية للحكم الروماني حيث اتحدت مع كريت مرة أخرى وكونتا جزءاً من التقسيم بين الشيوخ وأغسطس عام ٢٧ ق. م .

ويعترف الدكتور ساريكاكي بقلة المعلومات عن الحالة الداخلية في مدن قورينائية في هذه الفترة إلا أنه يشير إلى أن البلاد قد أصبحت تحكم على شكل مناطق وان العدالة الرومانية كانت قائمة يشرف على تنفيذها قضاة معينون من حكام الأقاليم وكان الحكام هم الذين يطبقون العقوبات التي يحكم بها القضاة .

أما عن الحياة الاقتصادية للسكان فقد أشار إلى أن الرومان الموجودين في الاقليم كانوا قليلي العدد في هذه الفترة ومتوسطي الحالة الاقتصادية الأمر الذي دفعهم إلى الضغط على جيرانهم اليونانيين الذين كانوا يرفضون في أغلب الأحيان دفع الأموال لهم ولهذا قرر أغسطس اصدار قراراته المشهورة في السنوات ٧ – ٦ – ٥ – ٤ ق. م لتنظيم الحياة القضائية بينهما ومنها ان اليوناني يحاكم في القضايا المدنية من قبل قضاة اغريق أما القضايا الجنائية فإنه يحكمها مجلس يتكون مناصفة من الاغريق والرومان .

ان المصدر الوحيد الذي يتحدث عن الحالة الاجتماعية في مدن قورينائية خلال عصر الجمهورية هو سترابون الذي نص على أن الشعب القورينايئي كان منقسماً إلى أربع فئات هي الاغريق واليهود والمزارعون والرومان . وكان اليهود يكونون جزءاً مهماً من المجتمع حيث كانوا قد هاجروا إلى قورينى في عهد البطالمة وكان لهم مركز ممتاز في المجتمع نتيجة لعطف البطالمة عليهم . وكان لهم حكامهم وموظفوهم يعملون على حل مشاكلهم الداخلية كما كانت لهم محلات تجارية خاصة بهم .

أما المزارعون فهم في رأي المؤلف المواطنون الليبيون أصحاب الأراضي الذين كانوا في العصر اليوناني الأول قد ساهموا في إنشاء المستعمرات اليونانية ولذلك كانت لهم حقوق سياسية حصلوا عليها نتيجة لوضعهم السابق مع أن الإغريق حاولوا أخيراً منعهم من ذلك .

وفيما يتعلق بحل مشكلة الأراضي التي استولى عليها الأهالي ابان الحكم الروماني فقد حاول الأمبراطور كلاوديوس وفبيانوس إرسال مختصين لدراسة الموضوع الخاص بهذه الأراضي ولكن القسم الأكبر منها كان قد استولت عليها القبائل الليبية الموجودة في القسم الغربي من البلاد وأهمها قبيلة الناسامونيس . وقد تحدث المؤلف بعد ذلك عن سبب اختفاء نبات السلفيوم وأرجع ذلك إلى الرومان .

وأخيراً يتحدث المؤلف عن أعظم الرجال الذين انجبهم اقليم قورينائية ويخص بالذكر الفيلسوفين أرستيبوس وكارنيادس والشاعر كاليماخوس والعالم الكبير ارتوستينيس من مدينة برقة (المرج) والكاتب التاريخي في البلاط السكندري مينيكليس الذي كتب التاريخ الليبي والجنرال امونيوس الذي شارك في معركة رفح عام ٢١٧م والذي كان يقود ثلاثة آلاف جندي ليبي .

ونأخذ على المؤلف عدم اعتماده على النقوش التي تعتبر المصدر الأساسي في أي بحث متعلق بتاريخ برقة في العصور القديمة ، وكان يجب عليه أن يناقش بصفة خاصة وصية بطلميوس أبيون وما تردد حولها من آراء ، والأحداث التي أدت إلى تردي الأوضاع الاقتصادية في برقة في الفترة التي تلت نهاية حكم البطالمة .

ثم ان المؤلف اكتفى بسرد الأحداث التاريخية دون التعمق في تحليلها ولا سيما أنها أحداث معروفة .

وحاول المؤلف أن ينسب الأحداث الخطيرة التي مرت بالاقليم إلى المشاكل الأسرية في البيت الحاكم مثل زواج برينيكي من بطلميوس الثالث بعد أن كانت والدتها قد خانتها مع خطيبها ديمتريوس الجميل .

وأخيراً كان يجب على المؤلف أن يلتزم الموضوعية في كتابه والا يصرف الحماس لكل ما هو اغريقي عن إبراز الدور الحقيقي الذي لعبه العنصر الليبي الوطني في تاريخ برقة القديم .